التسلسل العام للدروس (١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

هذا الكتاب **"المشاهدات المعصومية"** من أنفع وأحسن الكتب التي تتحدث عن قبر النبي ﷺ، وما حدث فيه من أمور محرمة مثلًا: أمور شركية من الدعاء والطواف، وكذلك القبة وغير ذلك من الأمور، نحن نختصر أهم ما في الكتاب في ثلاث صفحات تقريبًا.

📖**قال الشيخ محمد بن سلطان المعصومي في كتابه "المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية": ولو أنهم أبقوا حجراته ﷺ على ما هي عليه ورمموا وأصلحوا ما خرب وتهدم منها على الشكل الأول بلا تغيير لكان عبرة للناس فيزيدهم تقوى وزهدًا في الدنيا.**

وهذا فيه إنكار السلف لمسألة هدم غرف النبي ﷺ.

📖**قال المعصومي: ولكن شاهدًا على حقارة الدنيا، وأن الاعتناء بالدنيا وزخارفها من شئون من لا عقل له من الحمقاء، واعلم أن أول من غير هذه المعالم من أمراء المسلمين إنما هو الوليد بن عبد الملك الأموي؛ فإنه أمر بهدم حجرات أزواج رسول الله ﷺ عام واحد وتسعين هجرية فهدمت.**

فقال عطاء: سمعت سعيد بن المسيب – رحمه الله – يقول: والله لوددت أنهم لو تركوها على حالها ينشأ ناشئ من المدينة، ويقدم قادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته، ويكون ذلك مما يزهد الناس بالتكاتل والتفاخر فيها، وقد كره الناس صنع الوليد وبكوا منهم: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو أمامة بن سهل، وخارجة بن زيد – رضي الله عنهم –.

وقال أبو أمامة رضي الله عنه: ليتها تركت حتى ينقص الناس من البنيان، ويروا ما رضي الله تعالى لنبيه وحبيبه ﷺ في هذه الحياة الدنيا الفانية ومفاتيح خزائن الدنيا بيده، والذي باشر هدمها بأمر الوليد عمر بن عبد العزيز وهو يومئذٍ أمير المدينة.

📖**قال المعصومي: عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه وأرضاه–: ما أعقله وما أزكاه: إنه حينما أراد توسيع المسجد بعدما ضاق على المسلمين اشترى ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبد المطلب وحجرات أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، فقال عمر للعباس – رضي الله عنهما –: يا أبا الفضل إن مسجد المسلمين قد ضاق بهم وقد ابتعت ما حوله من المنازل لنوسع المسجد إلا دارك وحجرات أمهات المؤمنين، فأما حجرات أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها، وأما دارك فبعنيها ما شئت من بيت مال المسلمين. . إلخ.**

📖قال المعصومي: فانظر إلى قوله – رضي الله عنه –: فأما حجرات أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها، فكان أدق نظرًا وأبعد ملاحظة وأغور فكرة، فرضي الله عنه وعن سائر الصحابة أجمعين.

إلى أن قال – رحمه الله –: قال سعيد بن المسيب – رحمه الله –: والله لوددت أنهم تركوها على حالها، والذي هدمها عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد وبنى المسجد بالحجارة المنقوشة والفيسفساء، والمرمر، وعمل سقفه بالساج وزخرفه بماء الذهب، وكان العمال من الروم النصارى وعملوا على الرأس من جدول القبلة صورة خنزير، فأزاله عمر بن عبد العزيز. . إلى آخره.

📖قال المعصومي: فانظر إلى خطأ عمر بن عبد العزيز من وجوه كثيرة:

أولًا: هدمه حجرات أزواج النبي ﷺ.

وثانيًا: نقشه المسجد وزخرفته بماء الذهب.

وثالثًا: استعمال الروم والنصارى، فهم زخرفوا المسجد وشبهوه بالكنائس، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم» كما في سنن ابن ماجه، وحينما تم مع عمر بن عبد العزيز بناء المسجد أرسل إلى أبان بن عثمان – رضي الله عنهما – فقال: أين هذا البناء من بنيانكم؟ فقال: بنيناه بناء مسجد وأنتم بنيتموه بناء الكنائس. . إلخ.

إلى أن قال – رحمه الله –: ثم بعد أن احترق المسجد كله ولم تكن للحجرة النبوية قبة قبل القرن السابع أقامها المنصور قالوون في عام ستمائة وثمان وسبعين هجرية.

إذن بنيت القبة في عام ستمائة وثمان وسبعين، وبنيت في عهد السلطان قالوون.

طبعًا هي خضراء الآن، وكانت أولًا بألوان مختلفة، ولكن استقر في آخر العهد أنها تكون خضراء، لذلك اتخذ الصوفية شعار الأخضر على القباب.

📖قال المعصومي: ثم لعبت السياسات في شأن المسجد الشريف على ما لا يتفق مع روح الإسلام، وأفتى العلماء في شأن القبة بأنها بدعة محرمة، لما ثبت النهي عنها.

ثم غلب أهل الأهواء وعززوا من أفتى ببدعية القبة وعاقبوه ثم أخيرًا جدد المسجد السلطان عبد المجيد تجديدًا كليًا، فتمت العمارة من عام ألف ومائتين وخمس وعشرين إلى عام ألف ومائتين وسبعة وسبعين هجرية، ومن بدع هذه العمارة كتابة القرآن وقصيدة البردة، وأسماء الله الحسنى، وأسماء النبي ﷺ، فتطورت العمارة على مقتضى السياسة والأهواء فخرجت عن العربية الإسلامية إلى الرومية والفارسية الوثنية. . إلخ.

📖قال المعصومي: قال ابن كثير في تاريخه نقلًا عن ابن جرير: إنه في شهر ربيع الأول عام ثمان وثمانين هجرية وصل كتاب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز وهو إذ ذاك أمير المؤمنين أمير المدينة، يأمره بهدم المسجد النبوي

وإضافة حجر أزواج النبي ﷺ، فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة، وقرأ كتاب أمير المؤمنين الوليد، فشق عليهم ذلك وقالوا: تركها على حالها أولى، لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون وإلى بيوت النبي ﷺ فينتفع بذلك ويعتبر به، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا فلا يعمرون فيها إلا بقدر الحاجة، وهو ما يستر ويكن.

ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها.

أي بمعنى أن السلف أو الفقهاء العشرة أقروا هذا الفعل أو أنكروا هذا الفعل؟

الجواب: أنكروا هذا الفعل.

📖قال المعصومي: فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بن عبد الملك بما أجمع عليه الفقهاء العشرة فأرسل إليه يأمره بالهدم والتخريب وبناء المسجد على ما أشار، فلم يجد عمرًا بدًا من هدمها، ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس وتباكوا مثل. .

أي بمعنى أن أهل المدينة بكوا ذلك اليوم؛ كأن ذلك النبي ﷺ مات اليوم، وهذا يدل على إنكارهم لهذا الصنيع وهذا الفعل.

📖قال المعصومي: وكان أرسل فعلة كثيرة من الروم، فأدخلوا فيه الحجرة النبوية حجرة عائشة – رضي الله عنها –، فأُدخل القبر في المسجد.

وروي أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة – رضي الله عنها – بدت لهم قدم، فخشوا أن تكون قدم النبي ﷺ حتى تحققوا أنها قدم عمر – رضي الله عنه –، وأن سعيد بن المسيب – يرحمه الله – أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد كأنه خشي أن يتخذ القبر مسجدًا.

يعني أن السلف أنكروا هذا الصنيع وأنكروا إدخال الغرفة إلى مسجد النبي ﷺ.

📖قال المعصومي: رحم الله تعالى الفقهاء العشرة إن ما أشاروا به هو الحق بلا ريب، وإنما فعله الوليد وباشره عمر بن عبد العزيز بدعة شنيعة، مضرة في الدين وهم لا يشعرون. . إلى آخر كلامه – رحمه الله –.

الشيخ: طبعًا هذه موجودة ومصورة من **"كتاب المدينة المنورة"** للدكتور بدر، هي موجودة.

نعود إلى شرح كتاب التوحيد:

📖قال المؤلف – رحمه الله –: «بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ».

قوله: «بَابُ مَا جَاءَ»: أي من الأدلة والبراهين.

قوله: «أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ»: أي أمة الإجابة.

قوله: «**يَعْبُدُ اَلْأَوْثَانَ**»: أي ينصرف إلى عبادة الأوثان وذلك بتعظيم القبور، أو الأولياء، أو الصالحين فيصرف لهم شيئًا من العبادات.

وهذا الباب له مناسبة في كتاب التوحيد، وذلك أن ا لمصنف – رحمه الله – لما ذكر التوحيد وما ينافيه من الشرك، أو ما ينافي كمال التوحيد، أو ما كان وسيلة من وسائل الشرك ذكر بعد ذلك أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة، لأن بعض الجهلة من الصوفية والقبورية نفوا أن يقع الشرك عند الناس.

وقالوا: قال النبي ﷺ: «**يئس الشيطان أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**». قالوا: هذا دليل على أن ما وقع أو ما يقع من هذه الأمة فإنه ليس بشرك؛ لأن الشيطان يئس أن يعبده المصلون.

وعلى ذلك قالوا: بأن ما وقع أو ما يقع عند القبور من طواف أو نذر أو نحر أو غير ذلك فهذا ليس بشرك، لأن الشيطان يئس أن يعبده المصلون.

فالجواب عن هذه الشبهة: نقول:

أولًا: هذا يأس من الشيطان، وهو لا يعلم الغيب أنه سيعبد طائفة من الأمة الأوثان.

ثانيًا: نقول: يئس الشيطان من الصحابة، و لم ييأس من غيرهم، أو يقال: يئس الشيطان في وقت مخصوص، أو من طائفة مخصوصة، أو يقال: يئس الشيطان أن يرجع الناس إلى الجاهلية الأولى.

وعلى كل نقول: أن هذا يأس من الشيطان، وقد يتخلف هذا اليأس أو أنه يئس من الناس أن يعودوا كما كانوا في الحالة الأولى.

والمصنف – رحمه الله – جاء بهذا الباب ليبين أن الأمم السابقة وقعت في الشرك، فإذا وقعت الأمم السابقة في الشرك فإن هذه الأمة ستقع طائفة منها في الشرك لا محالة كما أخبر الله عز وجل بذلك، وأخبر النبي ﷺ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [النساء: ٥١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [المائدة: ٦٠]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} [الكهف: ٢١].

واستدل المؤلف – رحمه الله – على هذه المسألة بأدلة:

منها: **وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}** [النساء: ٥١].

قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا}: و لم يقل: أوتوا كل الكتاب، وإنما قال: **{ نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ}**: وهذا يدل على أن هؤلاء لم يأخذوا بكل الكتاب، وإنما أخذوا بقسط منه، أو بجزء منه، فضلوا وأضلوا.

قوله: { يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}: الجبت: هو الشيطان، والطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

ثم بعد ذلك قال: **وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ }**.

قوله: { بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً }: أي جزاء، من أشر الناس جزاء؟

قال: **{ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ }** ثم قال: **{ وَغَضِبَ عَلَيْهِ }** الثالث: **{وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}**: هذه صفاتهم، أن هؤلاء وهم أهل الكتاب صفتهم أن الله لعنهم.

ثانيًا: غضب عليهم.

ثالثًا: {وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}: أي أنهم عبدوا الطاغوت.

كذلك قال الله عز وجل: **{ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ }**: أي صير جزءًا منهم قردة وخنازير عقابًا لهم.

أما أفعالهم: أنهم عبدوا الطاغوت، فصرفوا العبادة لغير الله عز وجل وهذا هو الشاهد.

الشاهد: أن الأمم السابقة منهم من عبد الطاغوت.

ثم قال: **وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا}** [الكهف: ٢١].

قوله: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا } من الذين غلبوا؟

الجواب: المراد بذلك الأمراء الذين غلبوا على الناس أي تغلبوا عليهم، ووصف الله عز وجل لهؤلاء بالغلبة دليل على أن هذا الفعل ليس من الأفعال التي تمتدح بل تذم.

قوله: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا}: وذلك في الأمم السابقة.

قال المؤلف – رحمه الله –: وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ – رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ اَلْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! اَلْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟ ». أَخْرَجَاهُ.

قوله: « لَتَتَّبِعُنَّ »: بالضم للجماعة، وبالكسر للإفراد.

قوله: « سَنَنَ »: أي طرق من كان قبلكم.

قوله: «حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»: وهذه اللفظة هي التي في الصحيح، أما لفظة: « **حَذْوَ اَلْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ** » هذه ليست في الصحيح وإنما نقلها المصنف – رحمه الله – نقلًا عن بعض العلماء، أي أن بعض العلماء ساق هذا الحديث فنقله المصنف – رحمه الله – نقلًا عنهم، وإلا نقول: أن هذه الرواية « **حَذْوَ اَلْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ** »: ليست في الصحيح وإنما هي عند الإمام أحمد – رحمه الله –.

قوله: « **حَذْوَ اَلْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ** »: أي حذو الريشة التي يستعان بها على الهدف، وهذا كله المراد به أن الناس يتبعون غيرهم من أهل الكتاب.

وفي الحديث الآخر عند الترمذي وغيره: «**حذو النعل بالنعل**»: وهذا فيه مشابهة وتمثيل، والمراد بذلك التوبيخ لهذا العمل.

قوله: «**حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ** »: كانت النتيجة أنهم يدخلونه، لماذا شبه بجحر الضب؟

الجواب: لأن جحر الضب معروف بالالتواء، والضيق، فهذا دليل على أن الناس يتبعون من كان قبلهم من الأمم السابقة.

وهذا واقع ومصداق لقول النبي ﷺ، ويدل عليه حال الناس اليوم، لا تكاد ترى بدعة من البدع عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا تجدها بعد سنوات عندنا، تنتقل هذه البدعة منهم إلى المسلمين، وهذا مصداق قول النبي ﷺ: « **لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** ».

قوله: «**قَالُوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! اَلْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟** »: أي بمعنى أن الأمم السابقة هم اليهود والنصارى؟ قال النبي ﷺ: «**فَمَنْ؟** »: أي فمن غيرهم، إنما الاتباع كان لليهود والنصارى.

قال المؤلف – رحمه الله –: وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ – رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اَللَّهَ زَوَى لِيَ اَلْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ اَلْكَنْزَيْنِ اَلْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اِجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

قوله: « **إِنَّ اَللَّهَ زَوَى لِيَ اَلْأَرْضَ**»: أي جمع لي الأرض.

قوله: «**فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا**»: أي رأيت امتداد ما يكون لهذه الأمة من فتوحات فرأيت المشارق والمغارب، وهذا مصداق لقول النبي ﷺ، والواقع يدل على ذلك؛ فإن الفتوحات الإسلامية امتدت من الشرق إلى الغرب، فمن الشرق امتدت إلى خراسان، ومن الغرب امتدت إلى طنجة أو المغرب، ولكن من الشمال والجنوب لم تتسع كاتساعها من المشرق والمغرب.

قوله: «**وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»: أي ما جمع لي من ذلك، أي أن ملك هذه الأمة سيكون ما رآه النبي ﷺ.

قوله: «**وَأُعْطِيتُ اَلْكَنْزَيْنِ اَلْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ**»: المراد بالكنز الأحمر هو الذهب، وهو كناية عن أموال قيصر، والكنز الأبيض: الفضة وهو كناية عن أموال كسرى.

قوله: «**وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ**»، وفي رواية: «**دعوت ربي ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته ألا يهلك أمتي بسنة عامة**»: أي بفقر عام أو جدب عام على جميع الأمة.

قوله: «**وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُّوا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ**»: أي من غير أنفسهم.

قوله: «**فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ**»: والبيضة هي الخوذة التي تكون على الرأس؛ وهو كناية عما يقع لهم من قتل وإهلاك.

قوله: «**وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ**».

النبي ﷺ قال: «**دعوت ربي ثلاث دعوات فاستجاب لي اثنتين ومنعني واحدة**»: الذي استجاب له قال: «**وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ**»: أي بفقر عام، أو بجوع عام على كل الأمة.

الثانية قال: «**وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُّوا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اِجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا**»: هذه استجابة من الله عز وجل لدعاء النبي ﷺ ولكنها استجابة بشرط، الأول استجابة بلا شرط أو بلا قيد.

الثاني استجاب الله عز وجل ولكن بقيد وهو « **حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا** »: فإذا أهلك بعضهم بعضًا انتفى ذلك الأمر، فسلط عليهم من يستبيح بيضتهم، وهذا وقع، «**وَيَسْبِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**».

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي " صَحِيحِهِ"، وَزَادَ: « وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي اَلْأَئِمَّةَ اَلْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ اَلسَّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ اَلسَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي اَلْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ، ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى اَلْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اَللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**».

قوله: «**وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي اَلْأَئِمَّةَ اَلْمُضِلِّينَ**»: الإمام كل من يقتدى به، سواء كان من العلماء أو العباد، أو الأمراء المضلين، أي الذي ضل في نفسه وأضل غيره بقوله، أو بفعله، أو بسلطانه.

قوله: « **حَيٌّ** »: المراد به القبيلة أو الطائفة من الناس.

قوله: « **مِنْ أُمَّتِي** »: أي أمة الإجابة ممن ينتسب إلى الإسلام.

قوله: « **بِالْمُشْرِكِينَ** »: أي بمعنى أنهم يكونوا كحال المشركين؛ أو أنهم ينتقلون أي بمعنى يكونوا من المشركين وذلك بانتقالهم إلى بلدان الشرك.

قوله: «**وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي اَلْأَوْثَانَ**»: وهذا هو الشاهد.

قوله: «**وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي اَلْأَوْثَانَ**»: أي أمة الإجابة تعبد الأوثان؛ وهذا فيه دليل على أن هذه الأمة سيقع منها الشرك.

قوله: «**وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ، ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ**»، وفي رواية: «**دجالون**»: والدجل بمعنى التمويه، والمراد هنا من لهم شوكة ومنعة وقوة، وأتباع.

أما من يدعي النبوة فهم كثير، ولكن « **ثَلَاثُونَ** » هنا المراد بهم الذين يكون لهم قوة ومنعة وأتباع من الناس.

قوله: «**وَأَنَا خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»: أي أنه لا يوجد أحد بعدي نبي؛ ويدل على ذلك قوله تعالى: **{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}**[الأحزاب: ٤٠].

ومن العجائب أن امرأة ادعت النبوة وقالت: بأن النبي ﷺ نص على نبوتي. ولها أتباع، وكانت تستدل بقوله ﷺ: « **لَا نَبِيَّ بَعْدِي** »، وتقول: النبي قال: « **لَا نَبِيَّ بَعْدِي** »، فنرد عليها بقول النبي ﷺ أنه قال: « **لَا نَبِيَّ بَعْدِي** » و لم يقل: لا نبية.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله –**: «**بَابُ مَا جَاءَ فِي اَلسِّحْرِ**».

أي باب ما جاء من الأدلة والبراهين في حكم هذه المسألة وهي مسألة السحر وأنه كفر بالله عز وجل.

والسحر نقول: هو عبارة عن عقد ورقى يتكلم بها الساحر، فيؤثر على بدن المسحور، أو عقله، أو قلبه.

والسحر له أنواع كثيرة، وتختلف هذه الأنواع باختلاف العبارات.

فنقول: **السحر باعتبار عمل الساحر ينقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: سحر الطلاسم: وهو ا لذي يكون عن طريق الكتابات المبهمة، أو الرقى التي لا يعرف لها معنى، أو الكلمات أو الهمهمة التي لا تعرف؛ فإنا نقول: أن هذا سحر الطلاسم.

القسم الثاني: سحر بالأدوية والعقاقير، كمن يستخدم بعض الخواص الكيميائية فيؤثر على بدن المسحور، أو يؤثر على بعض الأشياء التي يظن أنه يقلب فيها أو يغير فيها الحقائق.

ونقول: **السحر له نوع آخر باعتبار المسحور، فهو ينقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: سحر حقيقي: وهو ما له تأثير على الإنسان، فيؤثر على بدنه، أو عقله، أو قلبه.

القسم الثاني: سحر التخييل: وهو ما يسمى بسحر العين، أي أنه يخيل للإنسان أن الأمر كذا وكذا، وهو على خلاف ما يرى؛ كما وقع من سحرة فرعون، كما في قوله تعالى: **{يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}**[طه: ٦٦]، **{ يُخَيَّلُ }**: سحر للعين فقط.

ومكان السحر: نقول: السحر قد يكون على المسحور أقصد، قد يكون في بدنه عمومًا، فيصعب عليه الحركة والقيام والجلوس، والتفكير، فيصيبه بالشلل، وقد يكون لبعض أجزائه كعقله فلا يستطع التفكير، أو يكون لقلبه فيصرفه إلى

الحب أو البغض أو غير ذلك، أو يصيبه بالوسوسة، أو يكون لبعض أجزائه؛ فإنا نقول: أن السحر قد يكون لكل الإنسان، وقد يكون لجزء من أجزاء الإنسان.

حكم السحر: ذهب الجمهور إلى أن السحر كفر بالله عز وجل، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: **{وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا}**[البقرة: ١٠٢]، وقوله تعالى: **{إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ}** [البقرة: ١٠٢].

وذهب بعض العلماء إلى أن السحر فيه تفصيل:

- ما كان عن طريق استخدام الشياطين فهذا كفر.
- وما كان عن طريق الخواص الكيميائية أو خفة اليد، أو سرعة الحركة، أو التضليل للناس من غير استخدام للشياطين فهذا ليس بكفر، وهذا رأي للإمام الشافعي – رحمه الله – أنه قال: (**نقول له: صف لنا سحرك؟ فإن وصف ما يكفر به كفرناه، وإن وصف ما لا يكفر به لا نكفره**).

مثل ما يقع الآن مما يسمى بالبهلوان وغير ذلك، وأصحاب السيرك، هذا قد يكون منهم من يستخدم الشياطين، ومنهم من يكون عن طريق أو عن نتاج سرعة الحركة أو خفة اليد، فهم يتعلمون ذلك، وأقل أحواله أنه محرم.

حكم تعلم السحر: تعلم السحر اختلف العلماء فيه:

- فمن العلماء من أجازه؛ لأنه يقول: أن هذا من العلم، وكل علم قد أمر الله به.
- والصحيح: أنا نقول: أن تعلم السحر أمر محرم؛ لأنه يورث عند الإنسان شبهة التعلم أو أنه قد يصل به إلى أنه يسلك طريق هؤلاء فيقع في شباك السحر والسحرة، وعلى ذلك نقول: أن القراءة في كتب السحر أقل الأحوال أنها محرمة.

هل للسحر حقيقة أو أن السحر هو مجرد تخييل؟

القول الأول: ذهب بعض العلماء إلى أن السحر إنما هو تخييل فقط، ليس له حقيقة، وهذا رأي جمع من العلماء، واختاره ابن حزم وغيره كالرازي، وهو مذهب المعتزلة وغيرهم؛ قالوا: بأن السحر ليس حقيقة. لماذا؟

الجواب: قالوا: لأنه لو كان حقيقة لاستطاع الساحر أن يسلب أموال الناس، وأن يأخذ أعراضهم، وأموالهم، وأولادهم، وأن يستولي على الملك، والواقع أن الساحر من أفقر الناس، فهذا دليل على أنه ليس له تأثير في الواقع وإنما هو تخييلي.

القول الثاني: وهو قول أهل السنة والجماعة قالوا: بأن السحر منه ما هو حقيقي له تأثير في الواقع، ومنه ما هو تخييل؛ ولكن هذا الذي يكون حقيقيًا وله تأثير في الواقع لا يعدو أن يكون ضعيف كالتفريق بين الزوجين وغير ذلك، أما أنه يقلب الحجر ذهبًا أو أنه يستولي على ملك الناس، وأولادهم وغير ذلك، فكيد الشيطان ضعيف.

وعلى ذلك نقول: أن السحر له حقيقة، ويدل على ذلك قوله تعالى: **{يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}** [البقرة: ١٠٢]، فهذا دليل على أنه حقيقي.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله –: وَقَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ}** [البقرة: ١٠٢].

قوله: {وَلَقَدْ عَلِمُوا} أي اليهود.

قوله: {لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ }: أي هذا السحر، من أخذه ما له من خلاق: أي أنه كافر، لأنهم يعلمون أن السحر كفر **{إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}**.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله –: وَقَوْلِهِ: {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}** [النساء: ٥١].

قَالَ عُمَرُ: (اَلْجِبْتُ اَلسِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ اَلشَّيْطَانُ).

وَقَالَ جَابِرٌ: (اَلطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ اَلشَّيْطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ).

قوله: «فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ»: أي في كل قبيلة واحد.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله –: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: «اِجْتَنِبُوا اَلسَّبْعَ اَلْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اَللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ اَلشِّرْكُ بِاَللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ اَلنَّفْسِ اَلَّتِي حَرَّمَ اَللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ اَلرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اَلْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ اَلزَّحْفِ، وَقَذْفُ اَلْمُحْصَنَاتِ اَلْغَافِلَاتِ اَلْمُؤْمِنَاتِ».**

قوله: « قَالَ: اَلشِّرْكُ بِاَللَّهِ»: فبدأ بالشرك لأن الشرك هو أعظم وأكبر الذنوب.

قوله: «وَقَتْلُ اَلنَّفْسِ اَلَّتِي حَرَّمَ اَللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»: هذه صفة للنفس؛ **لأن الأنفس منها ما هو محرم الاعتداء عليه، وهي أنواع:**

النوع الأول: النفس المؤمنة، فلا يجوز التعدي عليها بقتل ونحوه، كذلك المستأمن، والذمي، والمعاهد، فهذه نقول: أنها أنفس لا يجوز لأحد أن يتعدى عليها بقتل؛ لأنها أنفس محرمة.

قوله: « إِلَّا بِالْحَقِّ »: كالقصاص، أو المحصن الزاني، أو إذا كان مرتدًا وغير ذلك.

قوله: «وَأَكْلُ اَلرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اَلْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ اَلزَّحْفِ، وَقَذْفُ اَلْمُحْصَنَاتِ اَلْغَافِلَاتِ اَلْمُؤْمِنَاتِ»: أين الشاهد من هذا؟

الجواب: **الشاهد قوله: « وَالسِّحْرُ »**، فبدأ بالشرك ثم بعد ذلك ثنى بالسحر، وهذا يدل على خطر وعظم السحر.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله –: «وَعَنْ جُنْدَبٍ مَرْفُوعًا: حَدُّ اَلسَّاحِرِ ضَرْبَةٌ – أو ضربه بِالسَّيْفِ»، رَوَاهُ الترمذي وَقَالَ: "اَلصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ".**

وهذا الأثر كما ذكر المؤلف: **«اَلصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ»**.

وعلى ذلك هنا مسألة: وهي **حكم الساحر**:

اختلف العلماء في حكمه، وهل يقتل أو لا؟

- فمن العلماء من قال: أنه كافر، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: **{إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}**، وعلى ذلك قالوا: بأنه يقتل، واستدلوا على ذلك بالأثر « **حَدُّ اَلسَّاحِرِ ضَرْبَةٌ – أو ضربه بِالسَّيْفِ** » وهذا هو قول الجمهور، بأن الساحر كافر، وأنه يقتل قتل ردة.

وهل يستتاب؟

الجواب:

- ذهب الجمهور إلى أنه لا يستتاب لأنه كافر، ثم أيضًا لأنه لا تُعلَم له توبة؛ كما أنه صح عن ثلاثة من الصحابة الحكم عليه بالقتل.
- وذهب بعض العلماء إلى التفصيل فقال: بأن الساحر لا يكفر على كل حال، وإنما نقول: صف لنا سحرك. فإن وصف ما يكفر كفرناه، وإن وصف ما لا يكفر لا نكفره.

وعلى ذلك هل يقتل؟

الجواب: إن فعل ما يكفر به من استخدام الشياطين يقتل، وإن لم يفعل ما يكفر به لا يقتل، وهل يستتاب؟

الجواب: أيضًا نقول: ينبني على الخلاف:

- ومن العلماء من قال: بأن السحر كفر، وحكم الساحر أنه يقتل ولكن هل يستتاب أو لا يستتاب؟ هذا راجع للإمام، فإن رأى الإمام أنه يستتاب فإنه يستتاب، وإن رأى أنه لا توبة للساحر لكثرة السحرة؛ فإن مرجع ذلك للإمام.

ويدل على ذلك أن النبي ﷺ حينما سُحِر لم يقم الحد على الساحر، وإنما تركه.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله –: وَفِي "صَحِيحِ اَلْبُخَارِيِّ" عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّاب ﷺ أَنَّ اُقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ»، الرواية ليست في البخاري وإنما هي عند أحمد: « قَالَ: «وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ – رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا – أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ»**؛ وهذا دليل على أن الساحر يقتل.

📖 **قال المؤلف – رحمه الله –: «وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ».**

«**قَالَ أَحْمَدُ: صَحَّ عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ اَلنَّبِيِّ ﷺ**»: وهم عمر، وحفصة، وجندب.

هذا كله يدل على أن الساحر الأصل أنه يقتل، فإذا قتل فإنما يقتل قتل ردة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.